بسم الله الرحمن الرحيم

علم العقايد: أصول العقيدة

خلاصة الدرس العشرون

الإعجاز البلاغي

ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv

القسم الثاني

ما يشهد بإعجاز القرآن المجيد مع معرفة جهة الإعجاز وهو أمور:

الأمر الأول: الإعجاز البلاغي

وذلك ما يحسّه القارئ وجداناً من روعة بيانه، وجمال أسلوبه، وإرتفاع مستواه، ونفوذه في أعماق النفس، وطراوته وجدته، مهما طال الزمان، وإختلفت أساليب الكلام والبيان.

وهو بعد فوق كل كلام، حتى كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام) في خطبهم وأحاديثهم، فإنه مهما إرتفع مستواه لا يبلغ شأن القرآن الكريم، ولا يصل إلى مستواه، بل ينفرد القرآن بالرفعة، وبخاصية يمتاز بها عن كلام البشر، وقد تقدم حديث أبي علي الجبائي مع إبن الراوندي حوله، ويأتي حديث الوليد بن المغيرة عنه.

ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv

وفي حديث إبراهيم بن العباس عن الإمام الرضا عن أبيه: (أن رجلاً سأل أبا عبد الله ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة؟ فقال: لأن الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة.

أضف إلى ذلك أمرين:

الأول: علوّ مضامينه وشرفها وانسجامها مع العقل والفطرة. بحيث يتقبلها السامع ويتفاعل معها من دون كلفة.

الثاني: أنه يوحي بشيء مقوم لكيانه، لا يفارقه ولا يغفله من فاتحته إلى خاتمته، وهو أنه كلام الله تعالى في تعاليه ومالكيته، وقدرته وسيطرته، وجبروته وكبريائه، وقدرته وقاهريته، وعلمه وحكمته، وإنعامه وإفضاله.

وهو لا يغفل ذلك، ولا يتنازل عنه مهما اختلفت المقامات وتباينت المقاصد والمضامين التي يطرقه، من الثناء على الله تعالى وتمجيده، والحوار بينه وبين عباده . من أنبيائه وملائكته، وحتى المعاند له المتمرد عليه إبليس لعنه الله . وحديثه عنهم وحديثهم عنه، ووعده ووعيده، وإنذاره وتبشيره، وأمره ونهيه، وحكمه وقضائه، وإرشاداته وآدابه، وعفوه ورحمته، ونكاله ونقمته... إلى غير ذلك.

ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv

وهذه الأمور بمجموعها أوجبت إنهيار سامعيه به وتضاؤلهم أمامه، وشعورهم بعلوّه وارتفاعه عن مستوى كلام البشر.

بل إذا بقي القارئ له على سجيته، وتحللت عنه عقد العناد والتعصب، أو التشكيك والتردد، تفاعل معه وانتقل به إلى عالم آخر غير ما يعهده من كلام البشر، وتجلى له أنه كلام الله جلّ شأنه، وكأنه يسمعه منه، أو ينظر إليه في كتابه، كل ذلك لأنه لا يليق إلا به سبحانه، ولا يصدر إلا منه جلّ شأنه.

عن الإمام الصادق عليه السلام: لقد تجلى الله لخلقه في كلامه، ولكنهم لا يبصرون.

قصة الوليد بن المغيرة مع القرآن المجيد

وقد رووا أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله، فقال له: اقرأ عليّ. فقرأ عليه:

(إِنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُربَى وَيَنهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَالمنكَرِ وَالبَغيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ)

فقال: أعد. فأعاد. فقال: «والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق. وما يقول هذا بشر».

كما روي أن الوليد المذكور كان من حكام العرب يتحاكمون إليه في الأمور وينشدونه الأشعار، فما اختاره من الشعر كان مختار، فسألوه عن القرآن أسحر هو، أم كهانة، أم خطب؟

فدنا من النبي (صلى الله عليه آله وسلم) وهو في الحجر فقال: يا محمد، أنشدني من شعرك. فقال: ما هو شعر، ولكن كلام الله الذي بعث أنبياءه ورسله. فقال: أتل عليّ منه.

فقرأ النبي (بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ) فلما سمع الرحمن استهز، فقال: تدعو إلى رجل باليمامة يسمى الرحمن؟! قال: لا، ولكني أدعو إلى الله، وهو الرحمن الرحيم.

فلما انتهى (صلى الله عليه آله وسلم) إلى ذلك وسمعه الوليد اقشعر جلده، وقامت كل شعرة في رأسه ولحيته، ثم قام ومضى إلى بيته، ولم يرجع إلى قريش. فغمّهم ذلك وخافوا إسلامه. وحينما راجعه أبو جهل قال: إني على دين قومي وآبائي، ولكني سمعت كلاماً صعباً تقشعرّ منه الجلود. قال أبو جهل: أشعر هو؟ قال: ما هو بشعر. قال: فخطب هي؟ قال: لا. وإن الخطب كلام متصل، وهذا كلام منثور لا يشبه بعضه بعض، له طلاوة. ثم قال في اليوم الثاني: قولوا: هو سحر، فإنه أخذ بقلوب الناس.

موقف قريش من تأثر الناس بالقرآن

ولذلك كان تأثيره سريعاً ظاهراً في سامعيه، حتى خشيت قريش أن يغلبوا به على أمرهم، فحاولت منع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من مخالطة الناس، خوفاً من أن يقرأ القرآن الشريف عليهم ويحدثهم فيأخذ بقلوبهم ويؤمنوا به.

ومن الطريف في ذلك ما روي في لقاء الأنصار معه. فقد ذكروا أن أسعد بن زرارة وذكوان من الخزرج ذهبا إلى مكة معتمرين يسألان قريش الحلف على الأوس. وكان أسعد صديقاً لعتبة بن ربيعة، فذكر له ذلك، فردّ عليه عتبة بأنهم مشغولون عن ذلك بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنه قد سفّه أحلامنا، وسبّ آلهتنا، وأفسد شبابنا، وفرّق جماعتنا.

وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج قد سمعوا من اليهود الذين عندهم أن هذا أوان نبي يخرج بمكة، يكون مهاجره بالمدينة، لنقتلنكم به يا معشر العرب. فلما سمع أسعد كلام عتبة وقع في قلبه أنه هو الذي سمعه من اليهود. قال: فأين هو؟ فقال: هو جالس في الحجر.

ثم قال له: فلا تسمع منه ولا تكلمه، فإنه ساحر يسحرك بكلامه. فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر لابد لي أن أطوف بالبيت؟ قال: ضع في أذنيك القطن، فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه قطنا، فطاف بالبيت فنظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجازه. فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل مني، أيكون مثل هذا الحديث بمكة، ولا نعرفه حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم؟

ثم رمى بالقطن وأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال له: أنعم صباح. فرفع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأسه إليه، وقال: قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا تحية أهل الجنّة: السلام عليكم. فقال له أسعد: إن عهدك بهذا قريب. إلى ما تدعو يا محمد؟

لمشاهدة الدروس يمكنكم مراجعة الموقع الالكتروني:

حوزة الإمام الصادق عليه السلام الافتراضيةلتعليم الدروس الحوزوية (imamsadiq.tv)